أعظم دورة تدريبية في الأخلاق

ما بالك وبال أصحابك من قبلك ، اختلف الناس عليك ولم يختلفوا على من كان قبلك ؟

قال الأمام علي : لأنهم حكموا أمثالي وأنا أحكم أمثالك .

ظل العالم الإسلامي من زمن رحيل الرسول يفتقر إلى إعداد برامج ودورات تدريبية في القيم والأخلاق الحميدة وما نراه ونسمعه إنما هي حذلقات لغوية وفن خطابي وعبارات بلاغية منمقة يستخدمها الخطيب من على المنبر وهي ترفع من يتعاطى تلك الدعوات الأخلاقيه اجتماعيا وتنزله منزلة رفيعه والجماهير تستأنس بالحديث عن الأخلاق والدعوه إليها لكنها في واقعها لم تتدرب على هدم عوائق نقل الدعوات من الحالة الكامنة الى الحالة المتحركة .

مسيرة يوم الأربعين أو ما يصطلح عليه شعبيا مشاية الأمام الحسين هي إنموذج لأجمل وأعظم دورة تدريب على القيم والأخلاق الحميدة عرفها المسلمون منذ زمن الرسول (ص) فموجات بشرية مليونيةمن شتى بقاع الأرض في سلسة بشرية متصلة غاية في الجمال والروعة يشترك فيها العاجز والمريض والمعاق والنساء والأطفال بتعدد ألوانهم وأعراقهم ولغاتهم تلك الموجات حضرت استحبابا لرفع شعار المظلومية مما يولد في نفسها حاجزا نفسيا كبيرا لكره الظلم واستبشاعه تأسيا واستحضارا لمصيبة الأمام الحسين عليه السلام تلك الثورة المفعمه بمفاهيم أخلاقية وتربوية كثيرة تجسدها مظاهر مسيرة يوم الأربعين ، تلك الموجات المليونية الزاحفة نحو نقطة جغرافيا صغيرة تجد في طريقها من التفاني في الانفاق والكرم والجود من قبل أهل البلاد المزارة مما لا يصدقه العقل فما أن تهوي الشمس غروبا حتى تجد محبي الأمام الحسين يتلقفون الجماهير كما تتلقف الكرة طامعين متنافسين في من يرغب بتلبية طلب قبول ضيافتهم في مشهد حضاري غاية في الرقي لن تجد له مثيلا في التاريخ تتكسر فيها حواجز التصنيفات الاجتماعية. فلا اعتبار لعرقك أو لونك او تحزبك السياسي أو انتمائك المذهبي بما أنك في طريق زيارة أبي الاحرار فهذا يدثرك وهذا يمسك رجليك تدليكا وذاك ذراعيك واكتافك تمصيعا والاخر يأتي إليك بود وابتسامة عريضة ليسألك ماذا تود أن تشرب حبيبي الزائر مو على عيني وراسي هل أنت جائع هل أنت بردان ؟

فتلك المظاهر هي مزيج من الحب والإيمان بل مهرجان للتنافس على مظاهر الأخلاق والقيم الحميدة وانعكاس مصغر لصورة المدينة الفاضلة التي تخيلها أفلاطون والفارابي في كتبهم الحالمة تلك الجماهير لا قائد

لها يلوح بعصاه عليها ولا منظم يستقوي من إيرادتها المالية ومع ذلك وصلت لمرحلة متقدمة وناضجة إداريا ، تلك الموجات المليونية تنقل لك أنها لا تشعر بشئ غير غلبة العقل والنور ويقظة الوجدان والضمير الحي ، تلك المشاية ليست مجرد طقوس تعبدية بل هي رقي إنساني وحضاري هي عبارة عن بناء مجتمع ومرآة ناصعة لقول الحكماء والفلاسفة أن الإنسان بطبيعته يملك المشاعر والأحاسيس الطيبة فقط